المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعرفية
جامعة فردوسي مشهد 2025 CHARMO

القصة القصيرة في العراق ومسار التجدد والابداع،«رؤيا خريف» لمحمد خضير أنموذجاً

م.م. ابتهال عادل عبدالله[1]

١. قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد[1]

الملخص

إن هذه الدراسة هي الكشف عن التجدد الذي ناله مسار القصة القصيرة في الأدب العراقي مطلع الستينيات على يد بعض من كتّاب القصة العراقية الذين صوروا كل ما انتاب جسد المجتمع العراقي ونسيجه، فقد عكسوا لنا في كتاباتهم الانقلابات والاضطرابات الاجتماعية والسياسية زهاء هذه الفترة التاريخية،كان من بين رجالات القصة القصيرة القاص أو كما يسميه النقاد أيقونة السرد (محمد خضير) كان خير من مثل الوعي الأدبي المعبر عن عوالم نفسية أخذت الواقع إلى عالم اللاشعور، وكان لزاماً علينا أن نسلط الضوء على مسيرته القصصية وإبداعه الأدبي في مجال القصة، وانتقينا قصته (رؤيا خريف) للولوج إلى عالمه السردي الحداثوي من خلال تسليط الضوء على الاتجاه السردي الذي أبدعه، وعرف بالوسط الأدبي بالواقعية الافتراضية، كان يأخذ النص لعالم الخيال كما كان يفعل «غابريل»، موظفاً لغته الإيحائية ليعبر عن عالم آخر هو عالم المخبوءات وما يعتري بواطن النفس، مستنداً إلى البنية المتوازية في تشكيل عمله السردي.تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الإبداع القصصي العراقي، وبيان التجربة الأدبية التي مالت نحو التحديث والمغايرة، وأبرز من مثل هذا الاتجاه السارد (محمد خضير) ابن البصرة الحبيبة الذي طالما شكل لنا ظاهرة جديدة في القصة القصيرة وراح يسعى لتحصيل الإبداع الصافي، أخلص في حبه لوطنه وظهر ذلك جلياً في كتاباته الاجتماعية. ينتهج البحث المنهج الوصفي الذي استعان به القاص للوصول إلى حقيقة ثابتة مبتغاة. فحاولت الدراسة في الإطار الأدبي أن تكشف عن مدى استثارة القارئ للنص القصصي من خلال انجذابه، وتدل نتائجها على أن إبداع النص القصصي وتطويره يكمن فيما يختبئ ورائه من الخيال المحلق في سماء الواقع.

الكلمات الدليلية: محمد خضير، رؤيا خريف، القصة.

1 - Email: ibtihal.a@coeduw.uobaghdad.edu.iq

١. المقدمة

١.١. تبيين الموضوع

كان من بين رجالات القصة القصيرة القاص أو كما يسميه النقاد أيقونة السرد (محمد خضير) كان خير من مثل الوعي الأدبي المعبر عن عوالم نفسية أخذت الواقع إلى عالم اللاشعور، وكان لزاماً علينا أن نسلط الضوء على مسيرته القصصية وإبداعه الأدبي في مجال القصة، وانتقينا قصته (رؤيا خريف) للولوج إلى عالمه السردي الحداثوّي من خلال تسليط الضوء على الاتجاه السردي الذي أبدعه، وعرف بالوسط الأدبي بالواقعية الافتراضية، كان يأخذ النص لعالم الخيال كما كان يفعل «غابريل»، موظفاً لغته الإيحائية ليعبر عن عالم آخر هو عالم المخبوءات وما يعتري بواطن النفس، مستنداً إلى البنية المتوازية في تشكيل عمله السردي.تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الإبداع القصصي العراقي، وبيان التجربة الأدبية التي مالت نحو التحديث والمغايرة، وأبرز من مثل هذا الاتجاه السارد (محمد خضير) ابن البصرة الحبيبة الذي طالما شكل لنا ظاهرة جديدة في القصة القصيرة وراح يسعى لتحصيل الإبداع الصافي.

٢.١. خلفية البحث

جرت البحوث المتعددة عن القصة العراقية لكن حسب بحث الكاتبة عن خلفية الموضوع، يتضح أنه لم يدرس حتى الآن وعدم تواجد بحثٍ قد درس الموضوع هذا، بحد ذاته يستدعى وجود هكذا الدراسة.

٣.١. سؤال البحث

ـ كيف ابتدع «محمد خضير»، في مجال سرد القصة وفي قصة «رؤيا خريف» أنموذجاً؟

٤.١. فرضية البحث

ـ لقد ابتدع القاص العراقي المميز «محمد خضير»، اتجاه حديث بالسرد، عرف بالواقعية الافتراضية، في أنه حاكى الحلم، الخيال والواقع معاً، على أرض الأحداث الواقعية.

٥.١. الإطار النظري

بنيت هذه الدراسة على ثلاثة محاور معنونة كالتالي: ١ـ الأدب القصصي العراقي.٢ـ أيقونة السرد «رؤيا الخريف» لـ (محمد خضير).٣. رؤيا خريف.

٢. المفاهيم الكلية

١.٢ . مراحل تطور القصة العراقية

«القصة القصيرة، هي جنس أدبي حديث، إنماز بقصر الحجم، الإيحاء المكثف، النزعة القصصية ورمزية المقصد، فضلاً عن التلميح بما يدور من أحداث بشكل مضمر ومختزل»(بردي، ٢٠١٧: ٢٦).

ولا يختلف النقاد على أن جنس الرواية، أو القصة تعود جذورها إلى المقامة على الرغم من بقائهما في الإطار نفسه، وهو الإطار القصصي، أما متى سطعت بشمسها على الساحة الأدبية فيمكن تحديد ذلك بشكل متدرج بمرحلة سبقت سنه ١٩٠٨ عندما اطلق عليها (قصص الرؤيا)، وهو أن يقوم الأديب والكاتب من خلال هذه القصص على استظهار ما يحدث في المجتمع، سواءأ كان بالجانب الاجتماعي المتخلف، أو السياسي المتدهور، « ثم بدأت تتطور شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى ما عليه اليوم، فحالها حال الأشكال الأدبية الأخرى أخذت الاهتمام الأكبر من عناية الأدباء، لاسيما الأدباء العراقيين منهم أخذ نجمها يسطع في سماء الأدب العراقي في العشرينيات وزاد بريقاً بقيام النهضة الفكرية، وتطور المجتمعات والذي دفع عجله تطورها ظهور الصحافة والصحف؛ إذ كانت بدايتها مقالات قصصية هادفة اجتماعياً وسياسياً وفكرياً، بدأت تخلق التشويق والأثارة لدى القراء من خلال أسلوب القص»(أحمد، ١٩٦٩: ٩٣).

«أما في مرحلة الثلاثينيات فقد اتجهت القصة العراقية تنحو منحى الفن القصصي المصري ولاسيما بعد أن اتجه القراء العراقيين يتأثرون ببعض الكتّاب العرب ومنهم الكاتب المصري «محمود تيمور»، «توفيق الحكيم» وغيرهما» (أحمد، ١٩٦٩: ٩٩). أما الأربعينيات نلحظ أن القصص العراقية أو الفن القصصي العراقي برمته أخذ بالتراجع،الركود والتدهور؛ بما أحط على البلاد من أحداث داخلية متدهورة؛ بسبب الحرب العالمية الثانية وسياسة البريطانيين القامعة لكل معالم الحضارة، فقد مارس هذا الاستعمار العنف والإرهاب لقمع المعارضين من الشباب الوطني الثائر فما انكب على البلاد من التدهور السياسي صحب معه خراباً فكرياً، إلا أن الثورات لم تهنئ بالسكوت، بل على العكس استمر عنفوان الشباب المثقف وأخذ الانفتاح على الثقافات الأخرى يدب المجتمعات ومنها المجتمع العراقي وفي كل النواحي.

وما إن بدأت حقبة الخمسينيات، نهضت القصة العراقية من جديد واستيلادها من مخاض رحم الأحداث آنذاك، «فكانت بوادر تأسيسها من جديد في تلك الحقبة على أيدي كتّاب وروائيين، أخذوا على عاتقهم تشكيل الفن القصصي العراقي بشكله الجديد، وأخذو يصورون الواقع الاجتماعي ويجسدونه

أدبياً، واظهر من برز القاص والأديب «فؤاد التكرلي»، «عبد الملك نوري» وغيرهم»(السامرائي، ١٩٧٧: ٦و٧).

وإذ ما وصلنا إلى مرحلة الستينيات التي عجّت بالانقلاب السياسية والاضطرابات الاجتماعية، لا سيما انقلابات (تشرين ١٩٦٣) وما صحبه من تدهور ملحوظ في كل مرافق البلاد، فكانت القصة العراقية لها الدور الفعّال في تقديم المعالجات لواقع المجتمع العراقي المرير عقب فترات مختلفة، للخروج من أزمة التخبط والإحباطات، كانت لهذه المرحلة رجالاتها الأدبية منهم «جليل القيسي»، «محمد خضير»، «عبد الرحمن الربيعي» و«خضير عبد الأمير» (السامرائي، السابق: ١٥).

كانت فئة هذه المرحلة من أنجع ما قدمه الوعي الأدبي؛ فقد عبروا عن عوالم نفسية وإنسانية، فضلاً عن التعبير بعالم اللاشعور، وقد عبّدوا الطريق الأدبي لجيل السبعينيات الذين لم تقل حظوظهم من الإبداع الأدبي، شأناً عن جيل فترة الستينيات من الأدباء، وخير من مثلهم «عبد الخالق الركابي»، «لطفية الدليمي» وآخرون.

أما في الثمانينيات واندلاع الحرب العراقية ذات الأمد الطويل الموجع وما قامت به السياسية المتأرجحة، كانت تلك الحرب نقط التحول لبعض أدباء هذه الحقبة الزمنية من تاريخ العراق الأدبي، فانقسموا أدباء هذه الفترة ما بين ممجداً لقادة الحرب ومنهم من كان ممجد لمفهوم النص، مضيفاً عليه كل ما في بواطن نفسه من وجع، وظلم غير قانعاً ولا راضياً عما يجري.

برز جلياً في الساحة الأدبية من هذه الفترة المؤلة القاص المجدد والحداثوي (محمد خضير) صاحب الأسلوب القصصي البسيط الواضح، كان ظهوره ومن معه من كتّاب هذه الفترة له الدور المغني للقصة العراقية؛ اذا أفادوا الساحة الأدبية عامة والفن القصصي خاصة، ببنى السرد الحديثة.

لقد كانوا يأخذون بنية النص إلى عوالم الخيال، يتحدثون عن المسكوت عنه عبر فضاءات نصوصهم.

ونحن باتجاه حياة القصة القصيرة في فترة التسعينيات التي شهدت أحداث حرب جديدة بحصارها العام، والذي هدر من خلاله حيوية بناء المجتمع العراقي ومفاصله، أخذت فئة من الأدباء العراقيين على عاتقهم تصوير الأحداث الاجتماعية، السياسية والثقافية فكان مخاضاً قصصياً أكبر وأبرز من ظهر بهذه الفترة الزمنية، الكاتب محسن الرملي.

«أما القاص «محمد خضير»، فقد شاعت كتاباته المقالية والقصصية بنمط مغاير للنمط التقليدي آنذاك، فكانت جهوده تعد بمثابة مفصل التحول الستيني في أدب القصة العراقية القصيرة؛ لقد استظهر الرمز الغرائبية، والواقعية الممتزجة بالخيال في جلّ قصصه» (الستار، ٢٠١٣: ١٩).

٢.٢. أشكال الفن القصصي

ولو دخلنا في تقسيمات وأشكال القصة نجد لها أشكال متنوعة وأظهرها:

« أولاً :القصة القصيرة جداً

ثانياً: القصة القصيرة

ثالثاً: القصة الوصفية

رابعاً : القصة الطويلة

خامساً : القصة الجديدة

سادساً : الخبر القصصي

سابعاً : القصة المكثفة

ثامناً : اللوحة القصصية

تاسعاً: الصورة القصصية

عاشراً: القصة الحديثة... إلخ »(بردى، ٢٠١٧: ١٠).

«أما لو أدركنا في دراستنا الأسس أو الأركان» (الوائلي، ٢٠١٨: ٤٦). التي تتألف منها القصة عامة فنجد أنها متمثلة في:

أولاً: التمهيد

ثانياً: السياق

ثالثاً: الذروة

رابعاً: الحل

ففي تمهيده أو المهاد لعرض عمله الأدبي (رؤيا خريف) إستهلها القاص المتمكن محمد خضير بالحديث عن مجموعة أحداث تشكلت بشكل قصصي متضامن، لها رؤى واحدة كما يقول، ومتكافئة في النتائج، تبعاً لذلك، وهذه الرؤى تنهل كلها من منهل واحد أو أو مشرب واحد وهذه المناهل كلها تنبثق من مكان واحد هو موطنه (بصرياثا) مدينته العريقة البصرة الحبيبة بزمان حربها وسلامها، وكانت جلّها تستقي

من أحداثٍ واقعية حقيقة مرّت بها «العراق»، فكانت وسيلة القاص للتعبير عن تجاربه ومواقفه الواقعية التي شهدها في فترة زمنية معينة من حياته، إنها مستوحاة من واقع مرير طرحها القاص العراقي بأسلوبه ولغته، بعد أن أضاف لها مخياله السردي متحكماً في أحداثها عن طريق إدارته الموفقة للحوار.

أما في جانب السياق نقل القاص للقارئ أو المتلقي ما كان يدور على أرض الواقع بتفاصيل دقيقة ورمزية واضحة حقق من خلالها انزياحات كبيرة في جوهر النص وأحدث طفرة لم تؤلف ألاّ وهي الغرابة، «صحيح إنها أنهكت النص بالغموض، إذ أزاحت المعنى بوساطة اللفظ حيث أراد القاص أن يأخذ نصه، لكن بالمقابل منحت ذلك النص صورة جديدة، وهو ما يعرف بالخروج عن المألوف أو انزياح النص، وأبرز ما استعان به الكاتب من الأدوات الفنية هو التصوير و بذلك كان مبدعاً حقاً بعيداً جداً عن جاهزية النص» (خضير، ٢٠٢٠: ٩).

وفي مرحلة الذروة، نجد عصارة الجهد القصصي للقاص أو مبدع النص محمد خضير، إنه عند نقطة التوتر الدرامي لوصف الأحداث، أو كما هو معتاد قبل الوصول إلى وقت الانفراجات وتقديم الحلول، فذروة العمل القصصي سواء أكان أقصوصة أم قصة قصيرة أم رواية أو ما شابه ذلك من أجنحة السرد، ماهي إلاّ أهم عناصر الخيال الأدبي التي تكون أهم الادوات الفاعلة في يد القاص المبدع.

في هذه المرحلة تتولد أعظم التوترات ضمن الصراع السردي داخل إطار القصة، منتظرة تقديم الحلول الناجعة؛ للفوز بتحقيق مبتغى القاص، وقد أفلح في صناعته لذروة الدراما في قصصه من خلال خلق الصراع بين الخير والشر، وقد وصل لذروة الحدث في السرد القصصي، ثم يأتي إلى نهاية العمل وحرص على تقديم الحل الأمثل الذي ينتظره المتلقي، بعد تأزم الحال، فيقع الستار المعتم عن أقنعة الشخصيات، مبتعدا عن النهايات غير المقنعة، وهنا يصل مرحلة الختام، ختام النص للحدث الممتد على مدار القصة، أنه التنوير الذاتي النهائي للجهد القصصي المتماسك الذي اعتمد بشكل كبير جداً على ما يسمى بعنصر التشويق والإثارة والمتعة.

«عندما نتصفح صفحات قصة (رؤيا خريف) نجد بين أبوابها باب تفرد باسم أو عنوان (داما، دامي ودامو)، ويقول عن ذلك (لعبة الصمت، لعبة الحوار الأخرس، الداما، تعلمت اللعبة في السجن واعتقد أن كل بصرياثي من الجنس الأول يتقن هذه اللعبة، في حين أن الجنس الثاني مشغوف بلعبة «الدامي»، أما لعبة «الدامو»، فلا يتقنها إلاّ قلائل من البصرياثيين ينتمون إلى الجنس الثالث وأقل من هؤلاء، أفراد

يتقنون اللعب الثلاث، هم أساتذة متفرقون، جمعوا مع فن اللعب مهارة إخفاء أجناسهم...»(خضير، ٢٠٢٠١: ٦١).

من خلال استعراضنا النص شكلاً ومضموناً، نلحظ رؤى القاص المبدع (محمد خضير) في مدى تحقيق انزياحات واضحة لمعنى النص، من خلال سحب النص إلى زاوية الغموض؛ إذ أن لعبة الصمت والحديث الأبكم، أو الحوار الأخرس كان في حقيقة الأمر خفاء لأجناس المتحدثين، فلا يمكن أن يتحدث شخص نال منه الهلع وهو مكمم الفاه لما يجري أمامه من أحداث، إذ يظل نصه الذي يأمل الإفصاح عنه واقعاً أخرساً يخشى ما يخشاه، وهذا ما تعلمه لاعبوا «الداما» في معتقلاتهم آنذاك، فمن هذا الحال وغيره توشحت النصوص السردية المتداخلة في الأخيلة أشكالها المختلفة بالرمزية؛ هروباً من الواقع المرير المعاش آنذاك.

يركز القاص في تعيين الحدث على الزمان والمكان، ففي بدايات نصه تكون غير مباشرة في أغلب الأحيان، من النصوص القصصية لمحمد خضير التي بدأت بداية فضائية، قصة « رؤيا خريف»، وبدأت بقول القاص: « جاء الخريف برؤيا أخرى، جديدة تختلف عن رؤى خريف الأعوام الماضية، رؤى ضفة النهر: (الرأس المقطوع)... كل الوجوه في رؤيا هذا الخريف دفينة في الضباب والهلع...»(خضير،٢٠٢٠: ١١).

اتسم هذا الجزء من نصه في قصة «رؤيا خريف» على فضائية رمزية، بدأها في زمان جعله الخريف، إنه موسم التساقط، موت العشب وتذابل الأزهار وسقوط أوراقها، حاول دمج صورتين فنية رمزية، وخيالية أخذت القارئ إلى مرمى بعيد، فلم يقصد بالخريف الموسم الزمني الذي يعلن انتهاء الصيف وبدء الشتاء بعده، بل على العكس كان مبتغاه رمزياً لإيصال شعور معين، أنه يصف الواقع المرير المأساوي، سواء أكان على الصعيد السياسي أم الاجتماعي أم الاقتصادي؛ بسبب ما خلفته الحروب من خراب عاث بالإنسان فساداً، ثم راح يصف المكان التخيلي في ذاكرته، أنه النهر الذي ابتلع الكثير من ضحايا الحرب، الرأس المقطوع، نلحظ زمكانية النص تأخذ المحدق في النص إلى حالة الخوف مما يحدث من مجريات الأحداث البائسة، لم يصرح محمد خضير بكل هذا، وإنما راح يدسّ النص في إناء الرمزية؛ كي يحقق الهدف المنشود، ألاّ وهو الحصول على تأثير بالغ في المتلقي أو متلقف النص واستمالته إلى مكامن النص من جهة، وكذلك البوح بكل ما كان يختلج النفس من مشاعر مكبوتة أزاء الوضع الراهن الذي سادت به

الحروب وما خلفته من فوضى عارمة في النفس أولاً والمجتمع ثانياً وبعثرة رائحة الموت حصيلة تلك الحروب.

يواصل «محمد خضير» سرده المشوق، حتى يصل إلى لحظة انتهاء الحرب، فيقول:« كانت الحرب قد انتهت، ومضت ثلاثة عقود على وصول آخر وجبة من الأسرى إلى المدينة طهر النهر... وغرست الفسائل في الحقول... » (خضير، السابق: ٢٩).

أما من دواعي كتابة القصة القصيرة والتي هيأت قرائح الكتّاب والأدباء بصورة عامة :

وجدَّ بعض النقاد أن من دواعي كتابة القصة القصيرة وظهورها على الساحة الأدبية ولا سيما العراقية منها، لم يكن لغرض عبثي، ولم تكن ولادتها اعتباطية أو لهواً، لإرضاء رغبة القاص أو جملة القصاصين الشباب أو لإرضاء جمهور القراء فقط، بل على العكس من ذلك، كان ظهورها أو ميلادها هو لسبب واضح إنها وليدة قواسم ذاتية عند فئة من كتّاب هذا الجنس من السرديات، فضلاً عن فنية القصة وما تتطلبه من موضوعية تُحمل على عاتق كتابها لتأدية هدف معين سواء أكان أدبياً أم تعليمياً أم سياسياً والأهداف والغايات كثيرة...» (نعمة، ٢٠٠.: ٢٠).

أما أبرز العوامل التي هيأت أو ساعدت القصة على الظهور وإشغال الحيز في الوسط الأدبي بشكلٍ ملحوظ، فيمكن إجمالها بـ :

«١. رغبة الصحافة الشديدة لتوفير كتابات قصصية كثيرة ومكثفة في الوقت ذاته ولكن على قدر حجم معين كما يقال في المثل الشعبي خير الكلام ماقلّ ودلّ أي إيصال طرح معين بنّاء بشكل موجز غير مخلٍ لما أراده من المعنى فكانت القصة القصيرة مشرّعة للنزول إلى الساحة الثقافية والأدبية مؤدية أغراضها التي جاءت من أجلها.

٢. كما أن لمحدودية التجارب الذاتية التي يعبر عنها ويأتي بها القاص أحياناً تولد ما يسمى برغبة المصادفة، وهذه تأتي من رغبة أشخاص محدودين جداً وفعلاً نجد الساحة الأدبية تشير بالبنان إكباراً وتقديراً لمجموعة معينة من أدباء كتابة الفن القصصي.

٣. البناء الشعري القصصي والحكائي ومدى تأثيره على بناء القصة القصيرة ولغتها »(نعمة، ٢٠٠٠: ٢١- ٢٢).أما تعليل ديمومتها فيمكن القول، بأن حداثة التعبير المتآتية من الثقافة المعاصرة قد تميل إلى الخيال القصصي الوصفي بشكل ضئيل مقابل تغيير مسارها إلى التركيز والاختصار، وكذلك ما آل إليه الوضع البشري المعاصر من حيث التشعب والتعقيد في التفاصيل بعثت القصة للاختزال في هامش

الأحداث مع الاحتفاظ بالهموم الفنية لطبيعتها القصصية، وأخيراً يمكن الأخذ بعين الاعتبار يوميات الصحافة وما تدخره من الحيز المختصر ليسع متطلبات فرض وجود هذا الفن ضمن مجال منشوراتها سواء أكانت يومية أم أسبوعية أو حتى شهرية أو سنوية.

٣. أيقونة السرد «رؤيا الخريف» لـ (محمد خضير)

١.٣ .حياة (محمد خضير)

«قاص عراقي ولد في جنوب «العراق» تحديداً في محافظة «البصرة»، بجنوب «العراق»، عام ١٩٤٢م أكمل تعليمه الابتدائي، المتوسط والثانوي في مدارس «البصرة»، ثم دخل دار المعلمين بعد إكمال الثانوية وتخرج من الدار عام ١٩٦١م، عمل في التعليم ومارس هذه مهنته النبيلة في المحافظات العراقية الجنوبية منها الناصرية، البصرة والديوانية» (خضير، ٢٠١٧: ١٤).

«واستمر في مهنة التعليم ٣٠ عاماً تميز بشغفه للأدب حتى أصبح كاتباً»(Ktab.com،٢٠٢٤: ٢). كانت باكورة كتابته مجموعة قصصية نشرت منها في مجلة «الأديب العراقي» عام ١٩٦٢م؛ ولتميزه واحترافه الكتابة القصصية ترجمت أغلب قصصه إلى اللغات العالمية منها الفرنسية، الروسية والانجليزية؛ ولهذا الإبداع والتميز حصلت قصصه على جوائز عديدة منها:

١. جائزة سلطان العويس، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٤م.

٢. أما اتحاد الأدباء والكتاب فقد قلده جائزة عام ٢٠٠٨ م، وكانت جائزة القلم الذهبي.

«ذيع صيت شهرته كقاص مميز بعد نشره قصة تقاسيم على وتر ربابة، وأيضاً قصة الأرجوحة وكان نشرهما على صفحات مجلة الآداب البيروتية، أنسلخت قصصه بشكل عام من واقع المجتمع وهو يتصدى لكل ما يحدث حوله بصورة رمزية، حقاً مثّلَ القاص أو الأديب العراقي (محمد خضير) ريادة الفن القصصي العراقي فنياً وتاريخياً» (بردى، ٢٠١٧: ٢٦).

٢.٣ . مؤلفاته وآثاره القصصية

ترك لنا «محمد خضير» من جنس القصة مؤلفات شهيرة ذيع صيتها محلياً، عربياً وعالمياً ومنها الأكثر شهرة في الأواسط الأدبية نجد :

١. قصة «الأرجوحة» التي فاز بها ليس على الصعيد المحلي فحسب بل اشتهرت على الصعيد العربي.

٢. قصة « تقاسيم على وتر ربابة » وأيضاً لا تقل شعرة عن سابقتها.

٣. مجموعة قصصية كاملة بمحتوياته من قصة « البطات البحرية » التي تعد باكورته في القصة وأيضاً قصته النيساني.

٤. قصة « المملكة السوداء» في عام ١٩٧٠.

٥. قصة « في درجة ٤٥ مئوية» ١٩٧٨.

٦. قصة « رؤيا خريف» وهي أنموذجاً لدراستنا وكانت في عام ١٩٩٥.

٧. قصة «تحنيط» ١٩٩٨.

٨. قصة « حدائق الوجوه » ٢٠٠٨.

أما في فن الروايات فاشهرها:

١. « سيرة مدينة بصرياثا» ١٩٩٣.

٢. «كراسة كانون » ٢٠٠١.

وله تأليف نقدي عنوانه « الحكاية الجديدة » وكان في عام ١٩٩٥.

«لقد عانى السارد العراقي طيلة مشواره الأدبي والإبداعي من نزر الإمكانيات المادية والمعنوية وكذلك تكميم الأقلام قبل الأفواه، كانت التقنيات مفروضة على تلك الأقلام من ناحية اختيارها للقضايا المطروحة » (بردى، ٢٠١٧: ٤٢).

فليست كل التجارب الأدبية بالمقدور طرحها، إلاّ أن السارد العراقي استطاع أن يبني صرحاً ثقافياً كبيراً بوساطة الرمز؛ لذلك تحتم علينا أن نسلط الضوء على أحد نتاجاته الأدبية في ذلك الحين، إنه أحد القامات القصصية الحديثة وإبداعه في رؤيا خريف الذي صدر عام ١٩٩٥، أفلح منذ نهاية الستينيات في تشكيل ظاهرة مرموقة في فن السرد القصصي الحديث غير معتاد أعانه على تأديته ما كان يستعين به من انزياحات لفظية تأخذ النصوص إلى غير المعاني المقصودة.

«كانت معرفته لجنس القصة العراقية تعود إلى عام ١٩٦٦، بفوزه عن قصته «البطات البحرية»، ثم ردف هذا التميز ما نشرته مجلة «الأديب العراقي» فنشرت له ثاني عمل قصصي له بعنوان (النيساني)، تلاها إبداعه على الصعيد العربي بقصة الأرجوحة» (خضير، السابق:٧).

«لقد تفرد «محمد خضير» عن مجايليه وحتى الأجيال اللاحقة في تأسيس اتجاه جديد للسرد كان نوعاً مختلفاً عما كان مألوفاً في ذلك الحين اتسم بإحداث التشويق، وإثارة القراء من جهة ومواكبة الواقع الفعلي لزمكانية النص القصصي من جهة أخرى، لخلق جو الحلم أو الرؤيا عن طريق العرض السينمائي لسياق

النصوص الحكائية، نجح في تصوير مخاوف النفس وتعقيداتها ليظهر الجانب المخبوء في النفس البشرية وتعالقاتها الاجتماعية» (السامرائي، ١٩٧٧: ١٥ و١٦).

برع محمد خضير في أن يأخذ النص إلى الخيال ويطوف به بعيداً، ثم ما يلبث أن يعيده إلى أرض الواقع من خلال اللغة السردية المتينة والرمزية في الوقت ذاته، على نحو ما فعله « غابريل ماركيز» عندما أسس اتجاه خاص له اسماه بالواقعية االسحرية.

لقد كان أديبنا أكثر تحسساً لما يجري في المجتمع العراقي يتوق إلى عيش هادئ أكثر أمناً وطمأنينة للروح، وقد استوعب كل ما يدور راصداً سمات التحول والتغيير مستغلاً، ذلك في بناء نص القصة الحديثة بعد أن تمكن من صقل المهارات الفنية بالكتابة. وقد نجح في تحويل الجنس القصصي في ذلك الوقت من الإطار السياسي إلى الإطار الاجتماعي بفعل الرمز.

٤. «رؤيا الخريف»

١.٤ .الرؤيا لغةً واصطلاحاً

«الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم، تتعدى إلى مفعولين، يقال: زيداً عالماً»(الدين، ١٢٩٠، م٣: ٦٣). أما اصطلاحاً فهي: من الحلم، ما يراه الصالح في منامه من البشارات، والرؤيا أعم في مدلولها من الحلم ومعناها أيضاً أشمل، ففي ملحمة « جلجامش » كانت الرؤية من الحلم مما شاهده في المنام.

وفي «رؤيا خريف» وظفّ الكاتب والقاص العراقي «محمد خضير» العمل القصصي بطبيعة بنيته سرد الأحداث وكل ما يراه بالواقع إلى الخيال، كان يرقي بمميزاته القصصية ورؤيته من المستوى الدلالي الاعتيادي المألوف جاعلاً من التجريب أداه للتوظيف الفني للروئ، من خلال فتح باب المخيلة التي أعانت اللغة الإيحائية للنص القصصي فاخرجته على غير المألوف، فكان متسماً بكل التناقضات لما هو موجود من المعنى » (هويدي، ١٩٩٣: ٢٦).

«محمد خضير» خير من مثل مرحلة الستينيات وكذلك القاص جليل القيسي والتي أطلق عليها وبكل جدارة مرحلة النضج الفني؛ ذلك أنه أطلق عنانه للخيال الإبداعي موائماً بين النفس الإنسانية والحلم ونتج عن ذلك نوع قصصي جديد يعبر عن عالم اللاشعور» (هويدي، السابق: ٦٣).

«لقد زاوج «محمد خضير» بين واقع الأحداث، والحلم مع إكساء الحدث تفاصيل مقنعة لاخراج بواطن النفس وتحقيق الأحلام في اليقظة، بعد تهيئة أذهان القراء لاستقبال مخرجات جديدة وأفلح في خلق تأرجح ما بين تحقيق حدث معين من عدمه، فكأنه حقاً صوت الراوي العليم» (هويدي، السابق: ٦٣).

وقد أبدع في اعتماده البيئة المتوازية لاسيما في عمله القصصي قصة (الأسماك) عندما خلق بيئة قصصية متوازية ما بين حال سمكة في حوض وامرأة في الشرفة فكلاهما موثوق في عالمها الخاص الذي لا يمكن الخروج منه. إن التحويل السردي أو الحكائي، في القصة هو تجسيد للوعي الذي عاشَ القاص تحولاته جلّها، من خلال إستعادة قراءة، وتدوين تفاصيل الأحداث، السير، الصراعات، عبر الانفتاح على الكثير من عوالم تستدعي ولادة فكرة المعنى من خلال المعايشة، والمواجهة تلك التي تتحول في صميمها إلى ما يجسد لعبة الوعي الظاهراتي ذلك الذي يقوم على إعادة المجهول القديم في جوهر الحكاية، بتحقيقه لسرائر خبيئة، ومضللة ولكن لعالمها الرمزي، سواء أكان بصراعات، أم بأساطير أم بتخيلات، أنتجها الإنسان المبدع في سياق ما يقاومه من إماتة، لذا تتلبس كتابة القصة نوعاً من الامتلاء، باستدعاءات الوعي، مثلما كانت كتابة الحكاية تختفي بقناع غامض الملامح بوسيلة المحكي عنه، لمواجهة المحو والفناء أو الموت، وأنه يضع أفكاره بصورة مجازية تتقبل التقلب والمراوغة، لتمرير حادثة معينة أو موقف سواء أكان سياسياً أم دينياً، هي ذاتها تعد تقانة الكتابة حكائية كانت أم سردية، أو كما نسميه حرفنة التصرف والتشكيل لمجال خيالي لصورة شاخصة في الذهن، وتتم حيث إدخال الحدث المجال النحوي، من خلال الضمائر السردية بوصفها نظام ترسيم الحدود القصصية والسردية ضمن سياق المكان والزمن كما أسلفنا.

«يمكن القول، بأن القاص المبدع «محمد خضير» من الطراز الأول الذي تمكن بفضل ملكته السردية أن يفرض اسمه ليس فقط كونه قاص مميز وإنما كونه كان يشكل حداثة طرأت على واستمرت في الساحة الأدبية كظاهرة للقصة العربية والعراقية؛ إذ أحدث اختراقاً نوعياً لسردية القصة فما يزال التواصل مع نتاجه المميز الكثيف على مدار سنوات إبداعه كقاص واقعي خيالي في الوقت نفسه، له أسلوب سردي قصصي ثائر على السرد التقليدي المعروف، فقد كان له دور جلي في انتشال القصة العراقية من النزعة التعليمية المتسيدة آنذاك» (الطالب،١٩٧٥: ٢٥٩).

«اذ دفع عجلة السرد العراقي للأمام عن طريق الانبعاث الأدبي، تبلور اتجاهه بهذا الأسلوب مع من شابهه مثل «سرجون بولص» و«محمد عارف» باتجاه الواقعية؛ لغرض تصوير كل ما يطرح على ساحة المجتمع سواء أكان على الصعيد الثقافي، أم الفكري أم السياسي» (الوائلي، ٢٠١٨: ١٥٦).

إن القاص «محمد خضير» كتب حكاياته بوعيه الذي عرف عنه (الظاهراتي)، ذلك الذي يعيد من خلاله أمكنته الحبيبة، الحميمة،الغائبة، عوالمه الجذابة والساحرة، وتفاصيل قراءاته ومشاهداته اليومية، ولحظات الكثير من اشتباكه مع عوالم تتغير بسرعة مدهشة، عوالم لها تقاناتها السردية، ولها خصوصيتها في جلب المعنى الواضح والمفارق...

النتيجة

ـ القصة العراقية جنس أدبي مرموق عريق الأصول أبدع فيه الكثير من أدباء العراق قدامى ومحدثين إلا أن القدامى عبّدوا طريقه بما انتجوه من أعمال رصينة كانت لها الفضل في إظهار هذا الفن بشكله العريق، كان منهم القاص «محمد خضير»، الذي رفدنا بمجموعاته القصصية الرائعة، وكتاب «رؤيا خريف» له متضامن، الرؤى، متكافل في البراهين التي استجلّاها، متكافئ النتائج، لم يبدو كذلك حين نشره متفرقاً أو متناثراً، فكان أغلب الظن أنه اقتباسات مشتتة، ارتضع من منابع بعيدة، إلا أنها رؤى واقعية تتغذي من موضوعٍ واحد، هو (بصرياثا) مدينته الحبيبة بزمانها،مكانها وحروبها وبكل تفاصيلها.

. شكلّ «محمد خضير» انعطافاً في جيل القصة العراقية الستيني، إذ عكس الواقع في نصوصه السردية لاسيما في قصته بصرياثا فقد جسد صورة المدينة التي عاش فيها بواقعها سرداً، حلماً وواقعاً.

ـ لقد ابتدع القاص العراقي المميز «محمد خضير»، اتجاه حديث بالسرد، عرف بالواقعية الافتراضية، في أنه حاكى الحلم، الخيال والواقع معاً، على أرض الأحداث الواقعية.

. تركيز الأديب والقاص العراقي «محمد خضير» على واقع المجتمع العراقي الذي كان شغله الشاغل في أغلب أعماله الأدبية، متخذاً لذلك من الأسلوب الواقعي أداته فكان أكثر تأثيراً في المتلقي، صور لنا ما كان يسود في المجتمع العراقي أبان حقبة الستينيات.

. للسارد العراقي خيالاً رحباً واسعاً مكنه من إيصال الرؤى القصصية بشكل مختزل، بفضل ملكته الأدبية والعلمية.

. يشار إليه بالبنان بفضل تميزه عندما مزج بين الواقع والحلم مستغلاً الرمز في كتاباته.

. عكس ما كان يختلج النفس من دواخل شعورية حيث استطاع من عكس ذلك بصورة اللاوعي في كتاباته.

. اهتمامه وحنينه بالمكان وبصرته الحبيبة، التي طالما كتب عنها، كما أنه أبدع في المجال العربي والعراقي بفضل ما ترجم له من اعمال جديرة بفضل تميزه بدقة تصوير المشهد الاجتماعي.

. صورَ لنا زمكانية النص بشكل مبدع فقد اتخذ من زمن القصة فترة السبعينيات والثمانينات زماناً لقصته وما شهدته الساحة السياسية العراقية في هذه الفترة، كما أنه اتخذ من بصرياثا مكاناً لقصته دارت بها مشاهد الحدث، وقد أبحر بكل إمكانياته الابداعية ليخرج بعملٍ قصصي حمل لواء الجنس السردي وأبهر المتلقي بعد تحقيق التأثر أو الإثارة.

ـ اقترح القاص والكاتب العراقي «محمد خضير» منحى حكائياً قرائياً استنطق من خلاله كل ما موجود بحمولاته الرمزية من خلال توظيف تغذية الأفكار وتداولها، بتصورات وتوصيفات إثرائية مما أخذ بعمليته السردية خارج ما هو معتاد، حقاً إنه العارف الرائي في الوقت ذاته.

المصادر والمراجع

- أحمد، عبد الإله (١٩٦٩)، نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨. ١٩٣٩، جامعة بغداد، مطبعة الشفيق.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (١٩٦٨)، لسان العرب، دار المعارف، م٦.
- بردى، هيثم بهنام(٢٠١٧)، القصة القصيرة جدا الريادة العراقية، دار غيداء للنشر والتوزيع.
- خضير، محمد (٢٠٢٠)، رؤيا خريف (قصص)، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- خضير، محمد (٢٠١٧)، ما يمسك وما لايمسك، انشاءات سيرية، منشورات المتوسط.
- السامرائي، سليم عبدالقادر (١٩٧٧)، قصاصون من العراق، بغداد.
- الطالب، عمر محمد مصطفى (١٩٧٥)، الاتجاه الرومانسي في القصة العراقية القصيرة من ثورة تموز ١٩٥٨، آداب الرافدين، جامعة الموصل.
- عبدالستار، ابتسام عصام (٢٠١٣)، ما وراء السرد في أدب محمد خضير، رسالة ماجستير.
- موقع ويكبيديا، موضوع غابريل جوسيه، ٢٠٢٤/١١/١٩.
- هويدي، صالح (١٩٩٣)، بنية الرؤيا ووظيفتها في القصة العراقية القصيرة، العراق.
- الوائلي، كريم (٢٠١٨)، مصادر نقد القصة القصيرة والرواية في العراق وثائق وببيلوغرافيا، ط١، بغداد.
- موقع Ktab.com، محمد خضير.

The Short Story in Iraq: The Path of Renewal and Innovation *Autumn Vision* by Muhammad Khudayyir as a Model

Abstract:

This study is a revelation of the renewal that the short story path in Iraqi literature achieved in the early sixties at the hands of some Iraqi story writers who depicted everything that befell the body of Iraqi society and its fabric. They reflected to us in their writings the coups and social and political disturbances around this historical period. Among the men of the short story was the short story writer or as critics call him the icon of narration (Muhammad Khudair). He was the best example of literary awareness expressing psychological worlds that took reality to the world of the subconscious. It was necessary for us to shed light on his narrative career and literary creativity in the field of the story. We selected his story (Autumn Vision) to enter his modern narrative world by shedding light on the narrative trend that he created, and was known in the literary community for virtual realism. He took the text to the world of imagination as Gabriel did, employing his suggestive language to express another world, the world of hidden things and what afflicts the depths of the soul, relying on the parallel structure in forming his narrative work. The study aims to shed light on On Iraqi narrative creativity، and the statement of the literary experience that tended towards modernization and difference, and the most prominent of this trend is the narrator (Mohammed Khudair), the son of beloved Basra, who has always represented a new phenomenon in the short story and has been striving to achieve pure creativity, sincere in his love for his country and this appeared clearly in his social writings. The research adopts the descriptive approach that the storyteller used to reach a fixed and desired truth. The study tried in the literary framework to reveal the extent of the reader's excitement of the narrative text through his attraction, and its results indicate that the creativity of the narrative text and its development lies in what is hidden behind it of the imagination soaring in the sky of reality.

Keywords: Mohammed Khudair, Autumn Vision, Story.